الى تجمّعاتها الاقتصادية، والسكانية. من هنا، قد تصبح القدس مربوطة بالوسط، كامتداد للكثافة السكانية، مستوعبة لأفكار الدولة التي تعتبر تعبيراً عن الصهيونية البرغماتية. وقد تتطوّر القدس الى نواة قلب جديدة دافعة الدولة الى مرحلة جديدة من التوسّع الاقليمي. وبذا تخطط اسرائيل لكي تلعب القدس دور القلب الايديولوجي لـ «ارض اسرائيل الكبرى».

وتعبّر هذه المفاهيم عن الاهداف التوسّعية والاستيطانية لاسرائيل؛ كما تعتبر الاساس الذي تقوم اسرائيل، بناء عليه، بالتوزيع الديمغرافي للمهاجرين السوفيات الجدد على الاراضي العربية المحتلة. ومن هنا خطورتها المطلقة على مستقبل المنطقة العربية، ومستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي، خاصة اذا وضعنا في الاعتبار تطوّر القوة العسكرية الاسرائيلية من المجال التقليدي الى المجال النووي والصاروخي والفضائي. ومن هنا، أيضاً، تتمثّل خطورة عمليات تهجير اليهود السوفيات الى القدس والاراضي العربية المحتلة.

عملية التهجير وقضية المياه

ان تهجير اليهود السوفيات الى اسرائيل يعني عبئاً لا يحتمل على أهمّ مورد من الموارد الطبيعية، وهو المياه. ولا مراء ان الماء هو العنصر الاساس الذي يحدّد قدرة اسرائيل على استيعاب يهود جدد؛ ولا بدّ من السيطرة على أرض جديدة حتى يتسنّى لاسرائيل السيطرة على مصادر أخرى للمياه. وهنا تبرز المشكلة الرئيسة التي ستكون السبب الرئيس في حرب مقبلة، مهما اختلفت الاسباب.

والماء من أهم ضوابط توزيع السكان، حيث يتجمّعون أينما وجد، تاركين مساحات كبيرة شبه خالية من الصحراء. لذلك نجد ان تركيز السكان في اسرائيل، وتمركزهم، استدعيا التوسّع دائماً تجاه الحدود العربية المتاخمة للاراضي المحتلة، في جنوب لبنان والجولان السورية، بحجة الأمن. كما ترجع زيادة عدد المستعمرات في الضفة الفلسطينية، أساساً، الى توفّر المياه الجوفية ومياه الآبار.

والحروب التي خاضتها اسرائيل مع العرب هي حروب مياه في المقام الاول. ففي العام ١٩٦٧، وصلت الى منابع نهر الاردن، وأوقفت العمل العربي لتحويل روافده والافادة من مائه. وفي العام ١٩٨٢، نشرت قواتها على نهر الليطاني، الذي قامت بدرس موارده المائية درساً مستفيضاً.

وقد اهتمت الحركة الصهيونية، منذ زمن طويل، بدرس مصادر المياه في فلسطين، تمهيداً لبدء تحقيق الحلم الصهيوني في انشاء الدولة اليهودية. وكان هناك مشروع روتنبرغ اليهودي الروسي لتوليد الكهرباء في العام ١٩٢٠، ومشروع تجفيف أراضي الحولة في العام ١٩٣٤، ومشروع لودرميلك في العام ١٩٣٨، لودرميلك الذي ألّف كتاباً عن «فلسطين أرض الميعاد»، وكان من أهدافه توفير الاحتياجات المائية لأربعة ملايين مهاجر يهودي، ومشروع هينر وسافاج في العام ١٩٤٦. وبعد اقامة اسرائيل، جاء عدد من المشروعات، مثل مشروع مين في العام ١٩٥٣، ومشروع كوتون، ومشروع جونستون بعد ذلك.

وهكذا نجد ان الحركة الصهيونية دائبة العمل على حصر، وتنمية، موارد المياه، ووضع المشروعات التي تستولي على مصادر المياه العربية، وارسال الحملات لدرس هذه الموارد. ومن الطبيعي ان يلعب الماء الدور الرئيس في التوسّع السياسي، والاقتصادي، والعمراني، خاصة مع وجود عجز مائي في اسرائيل يقدّر بحوالى ٨٥ مليون متر مكعب سنوياً، سيتزايد، ليصل الى ما يقرب من ٤٠٠ مليون متر مكعب، قابلة للزيادة في منتصف التسعينات. ويتطلب ذلك استغلال مصادر مياه جديدة، سوف